﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٧٢﴾ [الكهف: 72]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لما قَبْلَها:

بعد أنْ خالفَ موسى ﷺ الشرطَ الّذي اشترطه العبدُ الصالحِ ناسيًا أمامَ صدمةِ التجربةِ العمليّة لتصرّفات الخَضِر، واندفعَ مُنكِرًا عليه بقوله: ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ واجهَهُ العبدُ الصالحُ مستنكرًا منه ذلك في لُطْفٍ يذُكّرُه بما كان قد قاله منذ البداية: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

بـعـدَ انـدفـاعِ مـوسى بالإنكارِ أعقبَه الخَضِرُ بالاستنكار

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

قال الخَضِرُ لموسى: لَمّا أنكرَ عليه خرقَ السفينةِ في صبرٍ ولطفٍ يُذكّره بما كان قد قاله منذ البداية: ألم أُخبِرْك بأنَّك لن تُطيقَ الصَّبرَ على اتِّباعي؛ لما تراه مِن أفعالي التي ظاهِرُها مُنكَرٌ قَبيحٌ؟! وأنَّك لن تَصبِرَ عن سؤالي عن أفعالي؛ لأنَّك لم تُحِطْ بها خُبْرًا ولا تعرف الحكمةَ من ورائها[1].

تذكيرٌ وعتابٌ من العبدِ الصّالحِ الأوّاب

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

سرُّ فصل جملة ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ﴾:

فَصَلَ البيانُ القرآنيُّ جملة ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ﴾ عن التي قبلها على طريقةِ المُحاوَراتِ التي يُحذفُ فيها العاطفُ كراهيةَ تكراره بتكرارِ أفعالِ القول؛ لأنّها جاءتْ جوابًا من الخَضِرِ على كلامِ موسى واعتراضه؛ وهو قوله تعالى: ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾.

لـومُ الـخَـضِـرِ وعـتـابُـه لـموسى عَلى اعتراضِهِ

أو أنّها قد جاءتِ استئنافًا بيانيًا مبنيًّا على سؤالٍ نشَأ مِن الآية

(1) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 73، والنّحّاس، معاني القرآن: 4/ 270، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 183، وطنطاوي، الوسيط: 8/ 555.

السابقة، مفادُهُ: فما قالَ الخَضِر لموسى عند اعتراضه؟ فقيل: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

دلالة الاستفهام في قوله ﴿أَلَمْ أَقُلْ﴾:

تذكيرٌ وتعريضٌ باللَّومِ على عَدمِ الوَفاءِ بما التَزم به

الاستفهامُ في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ استفهامُ تَقريرٍ وتعريضٍ باللَّومِ على عَدمِ الوَفاءِ بما التَزم به؛ أيْ: أتُقِرُّ أنّي قُلتُ: إنَّك لا تَستطيعُ مَعي صَبرًا؟[1]، ويتضمّنُ تذكيرًا لما قاله الخَضِرُ من قبلُ، وتحقيقًا لمضمونه مُتضمّنًا للإنكارِ على عدمِ الوفاء[2].

ولكن في هذا اللوم تلطّف؛ إذْ لم يواجهه بالقولِ؛ فلم يَقُلْ (لك) كما في قوله: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ﴾ [الكهف: 75] الذي جاءَ بعد إنكارِ موسى على الخَضِرِ مرّة أخرى، فقد زادَ فيه اللوم.

فائدة الجناس في ﴿قَالَ﴾ و﴿أَقُلْ﴾:

بيان الجماليّة في السّمعِ والتّأكيد على أهميّةِ المقول

بين اللّفظيْن ﴿قَالَ﴾ و﴿أَقُلْ﴾ في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ﴾ جناسُ اشتقاقٍ؛ إذ يجمعُ ﴿قَالَ﴾ و﴿أَقُلْ﴾ جذرٌ لغويٌ واحدٌ هو (قول)، إلا أنّ ﴿قَالَ﴾ أتى بصيغةِ الفعل الماضي، و﴿أَقُلْ﴾ أتى بصيغةِ الفعلِ المضارع، ممّا يُعطي جماليةً في السمعِ، بما يحملُ السامعَ على الإصغاءِ، ويزيدُ المعنى وضوحًا ويساعدُ على ترسّخه في الذّهن، ويؤكّدُ على أهميّةِ المقولِ الذي يقوله الخَضِر، وهو تذكيرُ موسى وإقراره بما سبقَ من هذا القول: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ مع العتبِ عليه، وتنبيهه من عدمِ الصبرِ في المرّاتِ القادمة، وذلك بسبب تكرّر الجَذْرَ.

وكذلك مادّة القول تدلُّ على النّطق، بما يشيرُ إلى أنّ الخَضِرَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 376.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 235.

أرادَ أنْ يُنبّه موسى إلى أنّه حذره من عدم صبره معه بكلِّ وضوحٍ؛ وهو قوله في الآية قبلها: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

سرُّ تكرار التَّوكيد ﴿إِنَّكَ﴾ مع الإضافة إلى ضمير الخطاب:

في تكرارِ عينِ الكلامِ المؤكّدِ مبالغةٌ في التّوكيدِ

أفادَت إعادةُ التّركيب القرآنيّ في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ - المتضمّنة عدّة مؤكّدات، وهي: حرفُ (إنّ) الذي يفيدُ التأكيد، والجملةُ الاسميّة التي تَدُلُّ على ثباتِ وقوّةِ الحُكْمِ بعدم صبر موسى وبَقائِهِ، وحرفُ (لَنْ) الذي يفيدُ تأكيد النفي، وعمومَ الصبرِ المنفي ﴿صَبْرًا﴾ - المبالغةَ في تحْقيقِ مضمونِ الجملةِ الخبريّة، وهو نَفْيُ حصولِ الصّبرِ من موسى في المستقبلِ على آكَدِ وجْهٍ؛ بتحذيرِ موسى وتنبيهه من عدمِ الصبر، وببيانٍ لخطورةِ أعمالِ الخَضِرِ وغرابتها في المتعارف بحيث لا تُحتمل، وذلك حتى يستمرَّ موسى في متابعةِ وصحبةِ الخَضِرِ إنْ شاء على بصيرةٍ وعلى غيرِ اغترارٍ، وهذا التأكيدُ بسببِ ما وقعَ من موسى من مخالفةٍ للشرطِ، ومن إنكاره بالقول في أوّل فعلٍ قامَ به الخَضِرُ.

وفي الإضافةِ إلى ضميرِ المخاطبِ ﴿إِنَّكَ﴾ اهتمامٌ بموسى عليه السلام، والتماس العذر له بأنّه من الأنبياءِ الذين أقامهم اللّهُ لإجراءِ الأحكامِ على الظاهرِ، ومن الطبيعي أنْ يُنكرَ ما سيشاهده من تصرّفاتِ الخَضِرِ؛ لاختلافِ المَشربيْن؛ لأنّ الأنبياءَ لا يُقرّون المنكرَ.

معنى النّفي بـ ﴿لَن﴾ في السّياق:

استطاعةُ صبرِ موسى في صحبةِ الخَضِرِ منفيّةٌ بشكلٍ مؤكَّدٍ

﴿لَن﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ حرفٌ لنفي المستقبلِ القريبِ والبعيد معًا، وقد تأكَّدَ النفيُ في هذه الآية عمليًّا بعدمِ قدرةِ موسى على الصبرِ لَمّا رأى خرقَ السفينةِ من الخَضِرِ، والمعنى: قد تأكَّد قولي السابق بأنّ استطاعتكَ الصبرَ البليغَ في أوّل الأمرِ وآخره معي منفيةٌ بشكلٍ مؤكّد.

سرّ التّعبير بالفعل المضارع ﴿لَن تَسْتَطِيعَ﴾:

عـدمُ استطاعةِ الصَّبرِ في معيّة الـخَـضِـرِ أمـرٌ مستمرٌّ

دلّتْ تاءُ الاستفعالِ في الفعل المضارع ﴿تَسْتَطِيعَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ على نفي الصبرِ البليغ الذي في نفسِ الخَضِر بسكوتِ موسى ﷺ في أوّل الأمر وآخره، وإلا فقد حصلَ من موسى ما يُطلقُ عليه صبرٌ بكفّه عن الخَضِر بعد تذكيره العهد بينهما[1].

ودلّتْ صيغةُ المضارع في ﴿تَسْتَطِيعَ﴾ على أنّ عدمَ استطاعةِ موسى الصبرَ البليغَ خلال صحبته مع الخَضِر أمرٌ مستمرٌّ، ولو عُبّر بصيغة الماضي بأنْ قيل: (إنّك ما استطعتَ معيَ صبرًا) لَما أفادَ تجدّدَ واستمرارَ عدم صبره.

دلالةُ المُراد بالمعيّة في ﴿مَعِيَ﴾ وتقديمها:

عـدمُ اسْتِطاعةِ مـوسى الـصَّـبْرَ مقيّدٌ بمعيّته مع الخَضِر

﴿مَعِيَ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ظَرْفٌ مُتَعَلِّقٌ بـ ﴿تَسْتَطِيعَ﴾، وقد قيّد البيانُ القرآني به استِطاعَةَ الصَّبْرِ المَنفيَّة بالتي تَكونُ في صُحْبَةِ الخَضِر؛ لأنَّ موسى يَرى أُمورًا عَجيبَةً لا يُدرِكُ تَأويلَها[2].

وقد قدّمها البيانُ القرآنيُّ فلم يَقُلْ: (لن تستطيع صبرًا معي)؛ اهتمامًا بهذه المعيّة وما سيكون فيها، وأنّها ليستْ كأيّ صُحبة؛ ليكونَ موسى على حَذَرٍ وانتباهٍ أكثرَ على ما يستقبلهُ من الخَضِر في صحبته حتى يستمرَّ في متابعته إنْ شاء على بصيرةٍ وعلى غيرِ اغترارٍ.

سرُّ تنكير لفظ ﴿صَبْرًا﴾:

الصّبرُ المطلوبُ مـن مـوسى هو الصبرُ البليغُ

نكّرَ القرآنُ لفظَ ﴿صَبْرًا﴾ في قولِه تعالى: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾؛ لإفادةِ عُموم الصَّبرِ الذي يكون أوّلًا لا آخرًا؛ أي: بعد تذكيره بالعهد والشرط الذي قُطِعَ على موسى، وبعد تذكّر موسى ثناءَ اللّه على الخَضِرِ وأنّه معصومٌ لا يفعلُ باطلًا؛ وذلك

(1) البِقاعيّ، نَظْم الدّرر: 12/ 112.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 376.

لوُقوعِ ﴿صَبۡرًا﴾ نَكِرةً في سياقِ النَّفي، وكذلك لإفادةِ تعظيمِ هذا الصبرِ وتفخيمه؛ أيْ: لن تستطيعَ معي الصّبرَ العظيمَ البليغَ الّذي في نفسِ الخَضِرِ بالسّكوتِ في أوّلِ الأمرِ وآخره، لا في آخره فقط، كما حصلَ مع موسى بكفّه عن الخَضِرِ لَمّا ذكّره العهدَ بينهما[1].

(1) البِقاعيّ، نَظْم الدّرر: 12/ 112.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثلاثون،
سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 30 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-27-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 30 : المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-27-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725630 بتاريخ 2024/11/04م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»